Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

علاقة مصر مع بلاد النوبة أبان عصر الهكسوس

(١٧٥٠ – ١٥٨٠ق.م)

ا.م.د.فاضل كاظم حنون

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

ابرز موضوع العلاقة بين مصر وبلاد النوبة في عصر الهكسوس أبان الفترة (١٧٥٠– ١٥٨٠ق .م) بعد أن سيطر الهكسوس على مصر ، بالحقيقة لم يكن دخولهم لها دفعة واحدة وانما كان تدريجياً إلى أن استطلعوا من السيطرة على كافة أنحاء البلاد ، إذ بعدما بدأ الضعف والوهن يدب في مصر وتمثل في انهيار الدولة الوسطى ومجيء ملوك ضعاف منذ الأسرة الثالثة عشر ، بدأ حكم الهكسوس لمصر منذ الأسرة الخامسة عشر والسادسة عشر والسابعة عشر ومن خلال النقوش نستدل أن الهكسوس قد حكمت الدلتا ومصر الوسطى ، بينما مصر العليا يحكمها ملوك طيبة ، أما بلاد النوبة كانت منفصلة عن مصر ويحكمها ملك من بلاد كوش .

ومما لاشك فيه كان احتلال مصر من قبل الهكسوس له صدى على بلاد النوبة ففي النوبة السفلى نجد انها بدأت تتمرد على الفراعنة في مصر الضعاف وشقت عصا الطاعة وعدم اعطاء الضرائب التي كان يؤدونها إلى ملوك مصر أما النوبة العليا فأنها استمرت في علاقاتها وخاصة السياسية والدبلوماسية والتجارية مع مصر والهكسوس عندما حكموا مصر فكانت هناك علاقات تجارية مزدهرة بين الطرفين وخاصة أن في منطقة "كرما " فقد ظل مزدهراً وهو من أهم المحطات التجارية والمستعمرات المصرية التي ظهرت منذ الدولة الوسطى واستمرت إلى عصر الهكسوس يستدل من خلال وجود الأختام التابعة لملوك الهكسوس على طول الممر النوبي ، فضلاً عن تبادل السلع والمنتجات بين الطرفين وخاصة فخار الهكسوس الحوري أو فخار تل اليهودية التي كانت تستورده الهكسوس أما من سوريا أو فلسطين إلى مصر وبلاد النوبة وقد وجد العديد منه في مقابر النوبة .

يتكون البحث من محاور ثلاث :

فالمحور الأول : الأوضاع السياسية بين مصر و بلاد النوبة في عصر الهكسوس .

أما المحور الثاني : فقد تناول العلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة في عصر الهكسوس.

والمحور الثالث : بين الأوجه الحضارية بين مصر وبلاد النوبة في عصر الهكسوس ، متمثلة الأختام ، المقابر والطقوس الجنائزية ، المعابد ، الفخار ، .

أما من الناحية الحضارية فكان لوجود الأختام التي حملت أسماء الهكسوس تمثل عن وجود علاقات دبلوماسية وتجارية وعسكرية وأيضا كان لوجود الفخار الذي استورده الهكسوس له صداه في الحياة اليومية في النوبة وفي استعماله ضمن الأدوات الجنائزية وخاصة في مقابر " كرما " أما الحصون التي شيدها ملوك الدولة الوسطى في النوبة فقد حرقت بعدما ضعفت السلطة المصرية في النوبة وغزو الهكسوس لمصر والأستحواذ على تلك الحصون من قبل سكان النوبة وسيطرتهم على البلاد النوبة من قبل حاكم كوش بل أنهم قد امتدوا في حدودهم وتوسعوا إلى جنوب الأراضي المصرية جنوب الفنتين .

ومن الناحية الأجتماعية فقد كان لغزو الهكسوس لمصر أثره في هجرة العديد من المصريين إلى بلاد النوبة واستقرارهم في الحصون واختلاطهم بأهل النوبة وأيضا وجود العديد من الموظفيين المصريين الذين كانوا في خدمة حاكم كوش ، فضلا عن استخدام النوبيين في حروب التحرير من قبل ملوك الأسرة السابعة عشر الطيبية ضد الهكسوس وتصبغهم بالصبغة المصرية.

المحور الأول : الأوضاع السياسية بين مصر و بلاد النوبة في عصر الهكسوس:

طرأت على مصر منذ عصر الانتقال الثاني العديد من الحوادث التي كان لها أثر في تاريخ النوبة ، إذ أن هذه الحوادث أخذت تخيم على شمال مصر ، فمنذ أواخر الأسرة الثانية عشرة كان دخول الأقوام البدوية الآتية من صحراء سيناء يقلق المصريين[1] ، وقد تزامن مع ضعف الحكم المركزي في الأسرة الثالثة عشرة ، وقد عرفت هذه الاقوام عند المصريين بـ" **حكا خسوت** " أي " **حكام البلاد الأجنبية** " والتي اشتقت منها كلمة " **هكسوس** " وقد أمتد نفوذ الهكسوس شيئا فشيئا حتى " قوص " جنوباً ومن هنا يمكن أن نتصور مدى النكبة التي حلت بمصر من خلال ماسجله " جوزيفوس " عن رواية " مانيتون " ، ويشير النص الأتي : " **توتيمايوس ، ففي عصره لا أعرف لماذا ابتلانا الله بعاصفة من عنده ، إذ دخل علينا من الشرق ، على حين غرة ، غزاة من أصل غير معروف واثقين من الانتصار على بلادنا ، فاستولوا بالقوة عليها دون أن يوجهوا ضربة واحدة ، وبعد انتصارهم على حكام البلاد أحرقوا مدننا من غير رحمة وسووا معابد آلهتنا بالأرض وعاملوا أهلها بعداء صارم** فقتلوا **البعض وسبوا النساء**

(1) Allen , James .P, Middle Egyptian, London , 1974 , P.180. A group of Researchers ,Ancient Egypt and Kush ,From the Egyptian Museum, P.179.

والأطفال وأسروا البعض الآخر [٢] وأخيراً وضعوا على العرش أحدهم وكان أسمه " ساليتيس " وكان مقر العرش آنذاك في منف ، وكانوا يجبون الضرائب في مصر العليا ومصر السفلى تاركين دائما قوات عسكرية في أكثر الأماكن ملاءمة "[٣] .

والمرجح أن توتيمايوس هذا كان هو الفرعون " دودى – مس " أحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة والذي حكم حوالي عام (١٦٧٥ق.م) وهكذا أصبحت مصر كلها تقريباً تحت حكم ملوك الهكسوس بينما اعتكف الحكام الأصليون في الجنوب وأصبحوا حكاما محليين متخذين طيبة عاصمة ، ويبدو أنهم في السنين الأولى من حكم الهكسوس كانوا يدفعون الجزية للمنتصر الأجنبي في الشمال[٤] .

ولم يبق لمصر في ظل تلك الظروف قوة في النوبة العليا فلقد استولى الهكسوس على الحصون وفي بعض الأحيان هدمت هذه القلاع فمثلاً تركت بوهن ، مقر قائد جيش أطلالا وبقيت على هذه الحال من الدمار أكثر من مائة سنة غير أن الكوشيين استولوا عليها فقد عثر على نص " سبد – حر " الذي يقول " **إني قائد شجاع في بوهن ولم يفعل أي قائد مافعلته ، فلقد شيدت معبدا لحورس سيد بوهن فسر لذلك الحاكم الكوشي** " " سبد – حر " هذا كان مصرياً عمل موظفاً مع بعض المصريين الآخرين عند الحكام الكوشيين الذين أمتدت سلطتهم إلى منطقة واسعة من النوبة[٥] وبناء عليه فإن " حاكم كوش " المحلي كان يستعين بعدد من المصريين للخدمة في دولته التي امتد سلطانها على كل منطقة سهل كرمة ثم شمالاً حتى الفنتين عند حدود مصر الجنوبية [٦] فكانت سيطرة حاكم كوش على مجمل النوبة جنوب الفنتين بعد انهيار المملكة الوسطى في مصر في أعقاب غزو الهكسوس [٧] إذ أنه بحلول عصر الاضطراب الثاني وتعرض مصر لمحنة الهكسوس ، تخلصت النوبة السفلى من النفوذ المصري ، وأمتد سلطان كوش ليشمل إقليم " واوات " حتى جنوب أسوان وصارت مملكة كوش من القوة بحيث خطب ملك الهكسوس

---

(٢) إمري ، وولتر ، مصر وبلاد النوبة ، ترجمة تحفة حندوسة ، (مصر –الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية) ، ٢٠٠٨ م ، ص١٧٤.

(٣) حسن ، سليم ، موسوعة مصر القديمة تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد " بيعنخي " (مصر – الهنداوي)، ج١٠، ص٢٠٦.

(٤) إمري ، المصدر السابق ، ص١٧٤.

(٥)إمري ، المصدر السابق، ص١٧٦.

(٦) بكر، محمد ابراهيم ، المدخل إلى تاريخ السودان القديم (مكتبة الأسكندرية – مصر) ، ص٣٥.

(7) Editor, G.Mokhtar,General History Of Africa .II Ancient Civilizations of Africa, Heinemann. Calfornia.Unesco,1981,P. 261.

في الأسرة السادسة عشر ودها رغبة في التحالف معها ضد ملوك طيبة الذين هبوا للدفاع عن مصر وطرد العدو الأجنبي وإعادة البلاد إلى سابق وحدتها[٨].

ومن هنا يتضح إلى أي مدى امتد سلطان كوش في الشمال في عصر الانتقال الثاني؟ وهناك غموض في معرفة امتداد سلطان كوش في الشمال لكن أمري[٩] يميل إلى الاعتقاد بأن جزءاً كبيراً من النوبة السفلى " واوات " كانت لاتزال تحت السيطرة المصرية أو تحت تأثيرهم إلى حد بعيد .

أما في الفترة الإنتقالية الثانية التي تعرضت بها مصر منذ الأسرة الثالثة عشرة وطوال قرنين أي حتى الأسرة السابعة عشرة للضعف والانحلال واجتازت فترة أخرى مظلمة أشد من التي اجتازتها أعقاب الدولة القديمة فتحكم فيها ملوك ضعاف أسسوا الأسرة الثالثة عشرة (١٧٨٦ – ١٦٣٣ ق.م) في طيبة [١٠] وتلتها الأسرة الرابعة عشرة (١٧٨٦ بالتقريب –١٦٠٣ ق .م) في مدينة سخا في غرب الدلتا عاصمة لهم وحكموا ، أما الأسرة الخامسة عشرة والسادسة عشرة (١٦٧٤ — ١٥٦٧ ق .م) ، وقد أطلق عليهم اسم الهكسوس [١١] أو الملوك الرعاة[١٢] أنها تكونت من ستة ملوك فقط وحكموا فترة (٥١٨ عاما) أما الأسرة السابعة عشرة فقد حكم كل من ملوك الهكسوس شمالاً وملوك طيبة جنوباً وعددهم (٤٢) ملكاً مدة (١٥١ عاما)[١٣] ، ففي عهد الأسرة الخامسة عشرة امتد نفوذ الهكسوس أبان عهد ملكهم خيان والملك أبو فيس على النوبة السفلى [١٤] وقد عثر على جعارين تحمل أسماء بعض ملوكهم [١٥] مثل "

(٨) حواس ، زاهي ، أبو سمبل معابد الشمس المشرقة ، تقديم : فاروق حسني ،(مصر — دار الشروق) ، ٢٠٠١، ص٢٢ .

(٩) إمري ، المصدر السابق ، ص١٧٦.

(١٠)أديب ، سمير ، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، (مصر — مكتبة الأسكندرية) ، ١٩٩٧م ، ص ١٣٩.

(١١) وقد اتى الهكسوس من الشرق من آسيا وهم خليط من عدة شعوب وقبائل مهاجرة منها العنصر السامي بجانب عناصر اخرى اهمها الكاسي والحوري، أما المصري القديم فقد أطلق عليهم مرة " عامو " ومرة اخرى " سنيو " أي الأسيويين، و " الهكسوس " بمعنى ملوك الرعاة وان كلمة " هيك " تعني في اللغة المقدسة ملك أما كلمة " سوس " فتعني في اللغة العامية " راعي " وهناك رأي آخر ان كلمة هكسوس قد اتت من الأصطلاح المصري " حقا خاسوت " بمعنى حكام البلاد الأجنبية وليس ملوك وان كلمة سوس فربما اختصارا لكلمة " خاست " بمعنى " بلد اجنبي " . ينظر : أديب ، سمير ، تاريخ وحضارة مصر القديمة ، (مصر — مكتبة الأسكندرية) ، ١٩٩٧م ، ص١٤٢ – ١٤٣. ويسمى الهكسوس ايضاً وقد جلب هؤلاء معهم الخيول والعربات الى مصر بحلول عام (١٦٠٠ ق . م) ينظر : Joyce L . Haynes , Nubia Ancient King Doms Of Africa, Museum Of Fine Arts , Boston Washington , 1992 , p22 .

(١٢) حسن المصدر السابق ،ج٤ ، ص٢.

(١٣) أديب ، المصدر السابق ، ص ١٣٩.

(١٤) مهران ، محمد بيومي ، حركات التحرير في مصر القديمة ، (القاهرة) ، ١٩٧٦م ، ص ص١٩٢ — ١٩٣ .

شيشي " الذي نجد اسمه غالباً على جعارين يمكن تأريخها من حيث الأسلوب بالنصف المبكر من حكم الهكسوس ، والملك" ماعت إب رع " والملك "يعقوب إيل " الذين قد حكموا مصر وبلاد النوبة السفلى ويظهر ذلك من خلال الآثار التي وجدت في أماكن متعددة وهي تحمل أسماء هؤلاء الملوك ، كما وجدت هنالك آثار للملوك الهكسوس في كرما [١٦] ووجدت جعارين لموظفين الهكسوس مثل جعارين ملك الهكسوس " شيشي " لها نفس الأسلوب باسم ولقب حامل الخاتم " حار " الذي لابد من انه كان من أهم موظفين الهكسوس ، واسم " حار " على اغلب الظن يقرأ " حور " وهي كلمة سامية ومعناها شريف وعلى ذلك فمن الجائز أن هذا الأجنبي كان له سلطان إداري يمتد على كل مصر بما في ذلك بلاد النوبة ومن المرجح أن " حار " هذا قد عاش في عهد أواخر ملوك الهكسوس[١٧] ، كما عثر على جعارين وأختام تحمل أسماء الملوك الآسيويين الذين كانوا يحكمون مصر وقت ذاك ، في كرما نفسها ومن كثرة هذه الأختام ظن بعض علماء الآثار أن النوبة قد اجتاحها الهكسوس بعد أن اخضعوا مصر العليا ، غير إننا نعرف الآن انه كان لأفارقة النيل الأوسط صلات وثيقة جداً مع أسيوي الدلتا [١٨]، وهذا الحلف بين ملوك الهكسوس ورؤساء قبائل كوش واضعين أمراء طيبة وأتباعهم بين نارين[١٩] لدرجة أن ملوك الأسرة السابعة عشر الطيبية هم من بدأوا حرب التحرير وتشير الأدلة الوثائقية التي تذكر أن " كامس " آخر ملوك السلالة السابعة عشر المصرية ، ربما أول ملك رفع راية النضال المنظم ضد الهكسوس [٢٠] ، ونهض بتحرير مصر الوسطى والسفلى ، فاتجه ملك الهكسوس بصورة طبيعية بطلب العون من حليفه الأفريقي أمير كوش

([15]) Roy , Jane , The Politics of Trade Egypt and Lower Nubia in the 4th Millennium BC, Leiden . Boston , 2011,P.228;Willkinson , J.G , The Ancient Egyptians , London , 1890 , P.95.

ينظر شكل رقم (١) ، فكري ، وائل ، موجز موسوعة مصر القديمة،(مصر ، مكتبة مدبولي) ، ٢٠٠٩م ، ص٢٢٩ .

([١٦]) حسن ، المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٦ ، ص٢١٣.

([١٧]) المصدر نفسه، ص٢٠٦ ، ص٢١٥.

([١٨]) مهران ، محمد بيومي ، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ، (مصر ، دار المعرفة) ، ١٩٩٩ م ، ج٢، ١٩٦٦ م ، ص٣٥٣ – ص٣٥٤.

([١٩]) إمري ، المصدرالسابق ، ص١٧٧.

([20])Editor, op ... cit ,P. 261.

والقيام بعمل عسكري مشترك ضد عدوهما المشترك ملك مصر[٢١] ودليل ذلك نقوش عند بوهين ترجع إلى (١٦٠٠ق. م) ، وأن عدداً من المصريين قد اتخذوا حاكم كوش بمثابة زعيم أعلى لهم عندما انقضت القوات الكوشية على مدن مصر العليا ، ومن الجدير بالذكر أن الوجود القديم لمصر الفرعونية في كوش أصبح مهدداً بالخطر مع سيطرة حكام الهكسوس على مدن مصر الشمالية ، وخاصة عندما طلبوا ضم قوات عسكرية من كوش لمهاجمة الدولة الفرعونية المتمركزة في مدينة طيبة[٢٢] على إن علاقة الكوشيين بحكام طيبة الوطنيين إنما كان يشوبها العداء ويميزها التكامل في نفس الوقت ، فالطيبيون الذين كانوا في خدمة ملك كوش إنما حملوا معهم خدماتهم الفنية إلى النوبة الوسطى ، كما أن وجود الكثير من المصريين المرابطين في قلاع النوبة السفلى ، قد كفل بقاء كوش على اتصال بحكام الهكسوس في الشمال ، هذا فضلاً عن أن أواخر ملوك الأسرة السابعة عشرة الطيبية قد استخدموا المرتزقة المجاي " المدجايو" في جيوشهم سواء في كفاحهم لتوحيد مصر العليا ، أو في حروبهم ضد الهكسوس ، وكان هؤلاء المرتزقة الذين جاءوا من الصحراء النوبية ينتمون ، عرقياً وثقافياً ، إلى النحيسو المستقرين على ضفاف النهر[٢٣] ، لذلك كانت مملكة كرما جنباً إلى جنب الهكسوس التي كانت تسيطر على معظم جنوب وشمال مصر ، في حين أن الملوك المصريين لم يحكموا سوى منطقة صغيرة تركزت في طيبة[٢٤] .

ويوثق نص لوحة كارنوفون بالتاريخ الذي يذكر السنة الثالثة من حكم الملك كامس وفيه يتساءل الملك في حديث له مع كبار رجال الدولة: " **أريد أن أعرف ماهي فائدة قوتي فهناك ملك في أفاريس وآخر في كوش وها أنا ذا أحكم بين أسيوي ونوبي وكل منا يحكم جزء من مصر وأنا لا استطيع الوصول إلى منف لأنه (أي ملك الهكسوس) يحتل مدينة الأشمونين ، والتعب أحل بالناس بسبب خدمتهم للأسيويين ، سأحاربه حتى أبقر بطنه ، إن رغبتي هي أن أنقذ مصر واسحق الآسيويين** "[٢٥] وقد ظهرت الصلات العسكرية والسياسية والدبلوماسية بين الهكسوس والكوشيين من خلال لوحة

---

(٢١) مهران ، المدن الكبرى ... ، ج٢، ص ص٣٥٣ – ص٣٥٤.

(٢٢) سبنسر، نيل وآخرون ، مدينة عمارة غرب المعيشة في النوبة الفرعونية ، (بريطانيا – المتحف البريطاني) ، ص٩ .

(٢٣)مهران ، المدن الكبرى ... ، ج٢، ص ص٣٥٣ – ص٣٥٤.

(٢٤) Joyce L ., op...cit , P.22 .

(٢٥) أديب ، المصدر السابق ، ص١٤٧.

كامس[٢٦][٢٧] وعثر عليها رجال الآثار عام ١٩٥٤ بالقرب من الصرح الثاني بمعابد الكرنك وذلك اثناء القيام بإجمالي الترميم هناك[٢٨]،وكانت هذه اللوحة ضمن احجار الأساس الموجودة تحت التمثال الضخم للملك بانجم أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين ويذكر النص المنقوش على هذه اللوحة الهزيمة التي لحقت بالأسيويين على يد جيش مصر " إذ يقول كامبس " لقد قبضت على أحد رسله متجهاً – عبر الواحات – إلى الجنوب إلى كوش حاملاً رسالة مكتوبة قال فيها " حاكم أفاريس عا وسر رع ابن رع أبو فيس تحية لك ياإبني حاكم كوش . ألم ترى ماذا فعلت مصر ضدي أن حاكمها القوي كامس قضى على في أرضي ، احضر فوراً إنه هنا عندي ولن اتركه يعود حتى تأتي ونقسم مصر بيننا ونحتفل بالنصر"[٢٩] .

وقد أرسل الهكسوس رسله عن طريق الواحات ليكونوا بمأمن من عيون كامس ، فأرسل كامس سرية من جيشه ترصدت الرسل واستولت على الرسالة ثم اطلقهم لينقلوا الى ملكهم خيبة أمله وفشل مسعاهم وخشى كامس أن يعيد الحليفان الكرة فوضع بعض وحداته في مصر الوسطى والواحات ورحل هو الى عاصمته في طيبة" [٣٠] .

ومن خلال هذه الرسالة يتضح أن أبو فيس ، ملك الهكسوس يطلب مساعدة حاكم كوش ضد الملك المصري[٣١] .

ويرجع استخدام مصر في عهد الدولة الوسطى للجنود النوبية المرتزقة الى عدة اسباب ، منها ، منها اتساع حاجات الدولة إلى مزيد من الجنود لتدعيم الجيش المحارب ، ومنها سبب سياسي يتمثل في ضعف سلطة وسيطرة الملوك وخاصة في عصر الأنتقال الثاني وأواخر الدولة الوسطى وهذا مانراه عندما انطلق " كامس " بجيشه المصري وجند فريقاً من جنود الحدود البجاويين النوبيين الذين دانوا بالولاية له ،

---

(26) Belzoni .G , Egypt And Nubia , London , 1820 , P.143.

(٢٧) فكري ، المصدر السابق ، ص٢٤٧ .

(٢٨) أديب ، المصدر السابق، ص١٤٨.

(٢٩) أديب ، المصدر السابق، ص١٤٨.

(٣٠) صالح، عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق ، (مكتبة الأنجلو المصرية) ، ٢٠١٢ ، ص٢٨٧ – ص٢٨٨.

(31) Editor, op ...cit,P. 261.

واستخدمهم في طليعة جيشه[٣٢]، وفي أوائل القرن السادس عشر ق . م ، حيث يحدثنا "كامس " قائلاً : " أبحرت شمالاً في عزم وقوة لا غلب الآسيويين بأمر آمون أعدل الناصحين ، وكان جيشي القوي أمامي كلفحة اللهب ، وكان جند " المجاي " يقفون عالياً فوق قمراتنا ليراقبوا الستيو ويدمروا مواقعهم "[٣٣]، وخاصة إن الهكسوس لما طال المطال عليهم فبعث برسالة إلى حاكم "كاش " أي كوش الجديد في الجنوب يدعوه الى التحالف معه ضد "كامس " ويخوفه عاقبة أمره ويشجعه على مهاجمتة من الجنوب حتى ينحصر بينهما وحينئذ يغلبانه ويقتسمان مصر معاً[٣٤].

ويحتمل أن هناك مجالاً للظن بأن "كامس " توجه نحو الجنوب في النوبة قبل أن يهتم بعدوه الأول في الشمال وذلك من ألفاظ استغاثة من الهكسوس وخاصة من تلك الرسالة التي رسلها ملك الهكسوس إلى حاكم كوش ومع أن الأدلة غير ملموسة الا أن اسمه واسم خليفته أحمس يظهران على لوحة توشكا[٣٥] .

والواقع أن النصر النهائي قد أتى على يدي أخيه وخلفه " أحمس " وأن " أواريس " قد سقطت بعد حصار طويل وأن " شاروهين " الواقعة في فلسطين الجنوبية قد حوصرت بعد ثلاث سنوات وسقطت ولابد أن " شاروهين " هذه كانت معقلاً في فلسطين الجنوبية ويحتمل أنها موحدة ببلدة " تل الفرعة " وبسقوط هذا الحصن أبعد الخطر من الشمال وكسرت شوكة الهكسوس على الأقل في هذه الفترة ولا أدل على ذلك من أن " أحمس الأول " حول نظره نحو الجنوب واستولى ثانية على بلاد النوبة السفلى حتى " بهين " عند الشلال الثاني[٣٦] .

وقد أحدثت الأضطرابات التي حدثت بعد سقوط المملكة الوسطى تأثيراً سيئاً في بلاد النوبة نحو مصر فشق أهالي ذلك الاقليم عصا الطاعة على الفرعون وامتنعوا عن دفع الجزية وسببوا له متاعب ومصاعب لكنه لما طرد أحمس الأول الهكسوس ووجه همه نحو ذلك الأقليم وأخضعه بسهولة وعلى الأخص ما كان بين الشلال الأول والشلال الثاني[٣٧] .

---

(٣٢) صالح، المصدر السابق، ص ص٢٨٧ – ٢٨٨ .

(٣٣) مهران ، محمد بيومي ، الحضارة المصرية القديمة (الحياة الأجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية) ، ط٤ ، (مصر – دار المعرفة) ، ١٩٨٩ ، ج٢، ص٢٢٢ ؛ خليل ، عبد المجيد حسن ، النوبة الإنسان والتاريخ ، ص٢٢ .

(٣٤) مهران ، الحضارة المصرية ... ، ج٢، ص٢٢٢ ؛ خليل ، المصدر السابق، ص٢٢ .

(٣٥) إمري ، المصدر السابق ، ص١٧٨.

(٣٦) حسن ، المصدر السابق ، ج١٠، ص٢٠٦ ، ص٢٢١.

(٣٧) برستد ، جيمس هنري ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ترجمة: حسن كمال ، (مصر – مكتبة مدبولي) ، ١٩٩٦، ص١٤٨ .

ومن هنا نجد ان الملوك المصريون من طيبة تمكنوا من الهكسوس حوالي (١٥٥٠ ق . م) واجبرتهم على الخروج من شمال مصر ثم حولوا جيوشهم الى الجنوب وبدأت حرباً ضد كوش التي استمرت نحو خمسين عاماً .

ثانيا:– العلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة في عصر الهكسوس:–

كان في بلاد النوبة في عهد الأسرة الثانية عشرة قد عثر في " كرمة " على مبنى مستطيل الشكل المقام " باللبنات " أي من طوب اللبن يبلغ طوله (٥ , ٥٢) متراً وعرضه (٧ , ٢٦) متراً وكان إرتفاعه عند الكشف عنه (٣ ,١٩) متراً التي مازالت معظم أجزائها متبقية، وأقيم في الجهة الشرقية لهذا المبنى مبنى آخر بنفس الطريقة إذ انه كان مبنياً من الطوب اللبن لكن هذا المبنى الذي احتوى على غرف في الجانب الشرقي

تدل على أن ذلك الموقع قد تعرض لحرائق مدمرة[٣٨]، كما توجد في الجهة الغربية مجموعة مبان والمعتقد أن هذا المبنى الأصلي كان " مركزاً تجارياً " [٣٩] وقد عثر على كميات كبيرة من المواد غير الجاهزة أو تحت التصنيع مثل أواني مصنوعة من الفخار والخرز والخزف الصيني ، مع توافر المواد الخام اللازمة لانتاج مثل هذه الأشياء[٤٠]ويبدو أن الدور العلوي من المبنى الرئيسي كان مخصصاً لسكن التجار المصريين الذين كانوا يقومون بعملية التبادل التجاري مع أهالي الجنوب ، وقد بنى هذا " المركز التجاري " بطريقة تشبه الحصون الجبلية والتاريخ الأصلي لإقامة هذا المستودع التجاري غير مؤكد لكن يوجد مايثبت أنه استمر يؤدي وظيفته حتى عهد الهكسوس[٤١]وقد أسفرت الحفائر عن كشف عدد كبير من الأختام الطينية[٤٢] لذلك كانت تدل الأختام الموجودة في مستودع "كرما " على أن التجارة بين مصر وبلاد النوبة كانت مستمرة في عهد الهكسوس [٤٣]ومن هنا نجد أن الهكسوس استمروا في تجارة مصر مع "كرما " في بلاد "كوش "

---

(٣٨) بيكي ، جيمس ، الآثار المصرية في وادي النيل ، ترجمة : نور الدين الزراري ، (مصر) ، ١٩٩٤ م ، ، ج٥ ، ص ٢٥٠.

(٣٩) الجمل ، شوقي ، تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقاته بمصر من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، (مصر – مكتبة الأنجلو المصرية) ، ٢٠٠٨م ، ص٦٣.

(40) Reisner, G.A , Excavatiopns at Kerma , Parts I-111 , Cambridge 1926 ,PP.21-22.

(٤١)الجمل ، المصدر السابق ، ص٦٣.

(42) Joyce L . , op...cit , 1992 , P.20 .

(٤٣) الجمل ، المصدر السابق، ص٧١ ؛ ص٨٣.

النائية بدون انقطاع عندما أخذ الهكسوس مقاليد الأمور في مصر[٤٤] إذ كانت التجارة السلمية من قبل المصريين في " كرما " إذ أن المصريين لم يحاولوا السيطرة على هذه البقعة من الأرض سياسياً ، ولكنهم فضلوا أن يكونوا على اتصال سلمي تجاري وقد استمرت مزدهرة دون أي انقطاع لمدة تقرب من قرن بعد أن استولى الهكسوس على السلطة في مصر نفسها [٤٥]وعندما غزت الهكسوس مصر تم تدمير البؤرة الاستيطانية المحصنة في "كرما " من قبل النوبيين لكن استمرت دوفوفا الغربية موقعا تجارياً محصناً في عهد الهكسوس أو الفترة الانتقالية الثانية إذ استمرت العلاقات التجارية والدبلوماسية ، بين مصر في حكم الهكسوس وبين أمراء المحليين " لكرما " إذ ازدهرت مملكة " كرما "خلال الفترة الأنتقالية الثانية إذ أنه تم تبادل التجار المصريين السلع والتماثيل وكذلك الفخار الحوري الذي استورده الهكسوس من سوريا وفلسطين إلى مصر وبلاد النوبة واستمرت العلاقات التجارية بين مصر في عهد الهكسوس وبين الأمراء النوبيين[٤٦] غير اننا نعرف الآن انه كان لأفارقة النيل الأوسط صلات وثيقة جداً مع أسيوي الدلتا ، لدرجة أن ملوك الأسرة السابعة عشر الطيبية عندما بدأوا حرب التحرير ، واسترداد مصر الوسطى والسفلى ، اتجه ملك الهكسوس بصورة طبيعية بطلب العون من حليفه الأفريقي أمير كوش والقيام بعمل عسكري مشترك ضد عدوهما المشترك ملك مصر[٤٧]ومما لاشك فيه أن الوكالة التجارية قد تعرضت للاعتداء والحرق ، وزال الحكم المصري حتى أن الفرعون كاموس من الأسرة السابعة عشرة اضطر الى الجأر بالشكوى من أنه يجلس في طيبة جنباً الى جنب مع آسيوي وزنجي[٤٨] .

وهذا يدل على أنه توجد في بلاد " كرمة " مؤسسة مصرية كان الهدف الأساسي منها التجارة بين بلاد " كوش" ومصر ، على أن هذه المؤسسة ظلت تقوم بعملها حتى أخذت مصر في التدهور الذي أنتهى بسقوط الدولة الوسطى ثم احتلال الهكسوس للبلاد ، ولذا ففي الوقت الذي كانت فيه مصر تسيطر على النوبة السفلى عن طريق جيوش مصرية في هذه البلاد كان لمصر نفوذ تجاري قوي عن طريق المستودعات المصرية في كرما " تشبه الوكالات التجارية وتقوم بعملها " وهكذا كانت لمصر مكانة

([44])Roy , Jane , op...cit,P.291.

([٤٥]) حسن ، المصدر السابق، ج١٠، ص٢١٢ ؛ ص٢١٥.

([46])Reisner, G.A , op...cit,PP.21-22.

([٤٧]) مهران ، المدن ...، ص ص٣٥٣ – ص٣٥٤.

([٤٨]) بيكي ، المصدر السابق ، ، ج٥ ، ص ٢٥٠.

سياسية وتجارية في بلاد النوبة حتى سقطت الدولة الوسطى ، وانتاب مصر ضعف سياسي واضطراب وأدى لتدهور إقتصادي واجتماعي[٤٩] .

بعد أن كانت مصر في عهد الدولة الوسطى قد وطدت أقدامها في النوبة مع فنونها وحرفها وصناعتها ، وان كانت تعتبر كموجة حضارية غريبة عن أرض الوطن ، وقد زالت تلك السيطرة الرسمية والتجارية في الفترات المضطربة التي سادت الفترة المظلمة المتوسطة الثانية واحتلال الهكسوس للبلاد ، كما رأينا علامات انهيارها متمثلة في حرق المخازن والمحطة التجارية في كرما[٥٠] .

ثالثا:–الأحوال الحضارية بين مصر وبلاد النوبة في عصر الهكسوس:–

أ:– المقابر والطقوس الجنائزية:–

هذا وقد عثر في الوجه القبلي بمصر على جبانات نوبية ، واطلق الآثاريون على هذه المقابر اسم " المقابر القعبية الشكل[٥١]أو" الناقوسية " التي تحتوي قطعا على اجساد الجنود الذين التحقوا بالجيش المصري منذ الأسرة الثانية عشرة ويمتدون خلال عصر الانتقال الثاني وأيام الأمبراطورية في الأسرة الثامنة عشرة فيما بعد وجدت هذه الآثار في عدة اماكن[٥٢]، وقد فسر البعض وجود هذه المقابر بأنها ترجع لقوم وفدوا لمصر من البقعة الواقعة في جنوبي حدود " سمنة " ويرجح أن هؤلاء المهاجرين ينتسبون لقبيلة تجارية أو انهم من الجنود المرتزقة الذين ذكرهم في قصة "كاموسى " باسم " مازوى " وان ملوك الأسرة السابعة عشرة استخدموهم في حروب التحرير التي اشعلوا نارها ضد الهكسوس[٥٣] .

كما يرى إمري أن ماعثر عليه في هذه المقابر يرجع قطعاً إلى أهل كرما ولاصلة له بحضارة المجموعة الثالثة في النوبة السفلى[٥٤] .

---

(٤٩) الجمل ، المصدر السابق ، ص٦٤.

(٥٠) بيكي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٥٩ – ص٢٦٠.

(٥١) الجمل ، شوقي ، المصدر السابق، ص٨٥ .

(٥٢)امري ، المصدر السابق ، ص١٧٢.

(٥٣) الجمل ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

(٥٤) امري ، المصدر السابق ، ص١٧٢.

وان الأحداث التي انتابت مصر نتيجة غزو الهكسوس لها أثرت بالتالي في بلاد النوبة فعندما تعرض الشمال لهجمات هؤلاء الآسيويين اضطرت أعداد كبيرة من المصريين للهجرة للجنوب والأستقرار في المناطق الخصبة الصالحة للاستغلال والاستيطان[٥٥] .

وهكذا ظلت الصلات بين مصر وبلاد النوبة في منطقة كرما عاصمة كوش خلال عصر الأنتقال الثاني المصري فالحصون التي لم تهجر اثناء عصر الأنتقال الثاني على عكس ماكان شائعاً من قبل ، أو انها هجرت في فترة متأخرة نسبياً ، ولفترة لم تطل كثيراً ، هذا فضلاً عن أن الحاميات في عصر الدولة الوسطى كانت تستبدل على فترات منتظمة ، واصبح الذين يحتلونها في عصر الأنتقال الثاني قاطنين مستديمين في النوبة ، تستقر معهم أسرهم ، بل ويدفنون هناك[٥٦]، وان الدراسات التي عملت على قبور هذه الفترة تقطع بهذه الهجرة ، إذ أن اختلاط المصريين بهذه الصورة مع النوبيين أدى الى تغيير واضح في عادات الدفن فقد وجدنا شكل القبر قد تغير بحيث أصبح مكاناً فسيحاً يوضع فيه الميت إما على ظهره أو على جنبه ، وفوق حجرة الدفن أصبحنا نجد حجرة صغيرة من الطين والآجر خُصصت للأثاث الجنائزي[٥٧]وربما أيضاً اتجهوا بالتدريج الى الأعتراف بسيادة ملك كوش ، ولما كان هؤلاء من اصل مصري ، فلابد انهم قاموا بجهد كبير لنشر الثقافة المصرية في مجتمعهم الجديد هذا[٥٨] .

ب:- الأختام :-

أما عن الصلات بين مصر ومملكة كوش في عصر الدولة الوسطى ، لذلك نجد اختام[٥٩]كرما يرجع تاريخها للأسر المصرية (١٢ - ١٥) ، ومن بينها أختام محلية الصنع مصنوعة من العاج أو العظم أو الصلصال مسطحة أو جعرانية الشكل أو محفورة بأنماط زخارف هندسية شبكية قائمة على مثلثات المحفورة

---

(٥٥) الجمل ، المصدر السابق، ٢٠٠٨م ، ص٨٣.

(٥٦) مهران ، المدن الكبرى ...، ج٢، ١٩٦٦ م ، ص٣٥٣ – ص٣٥٤.

(٥٧) الجمل ، المصدر السابق ، ص٨٣.

(٥٨) مهران ، المدن الكبرى ...، ج٢، ص ص٣٥٣ – ص٣٥٤.

(٥٩) الختم : كانت تستعمل بمثابة التوقيع على المستندات والوثائق والمعاهدات أو كرمز ديني وكانت الأختام مصنوعة من الحجر أو العاج أو العظم وكان يبصم بها فوق الطين لطبع ماكتب عليها كصورة متطابقة عكسياً ومقابلة، كما كانت تطبع على الأبواب المخصصة لحيازة وحفظ السلع ، واختلفت اشكالها كتلك التي وجدت مغطاة بنقوش الحيوانات أو بأشكال هندسية أو أسماء ملكية ينظر : صابات ، خليل ، تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، (القاهرة – دار المعارف) ، ١٩٥٨م ، ص٤٤.

، ووجدت أختام المكاتب الإدارية في القصر وبالقرب من بوابات المدينة ، واختام مصرية الصنع ، متماثلة مع تلك التي تم الكشف عنها في المواقع النوبية ، والتي ترجع للنصف الثاني من المملكة الوسطى ذات تصماميم زهرية أو لوالبية أو ألقاب أو أسماء لبعض صغار الموظفيين أو من ذوي المناصب العليا في الحكومة مثل نائب الحاكم أو المبعوث الملكي[٦٠] .

وفي عهد الملك " سخم رع خوتاوى – أمنمحات سبك حتب " من الأسرة الثالثة عشرة إذ عثر على اربعة اختام بإسمه في قلعة أورونارتي ، وهي أختام مستطيلة الشكل وخطوطها رائعة ونقوشها بديعة[٦١] .

كما وجدت أختام مغطاة بنقوش حيوانات أو بأشكال أو أسماء ملكية يرجع تاريخها للأسرة المصرية الخامسة عشر ، وفي كرما اكتشفت اختام تسلط ضوءاً على الصلات التي كانت متطورة بين كرما ومصر، ومعظم هذه الأختام اكتشفت بالمخازن والهياكل في المنطقة المحيطة بالدفوفة الغربية ، أو في الجبانات المجاورة للهيكل ، وحوالي (١٧٠٠ ق.م) كانت قوة مصر آخذة في الأنخفاض الكبير اما مملكة كوش النوبية وسعت نفوذها إذ تمركزت جنوب الشلال الثالث في منطقة خصبة من النيل والمعروفة بأسم ثقافة الكرما إذ اصبحت مملكة كرما واحدة من اقوى الدول بسبب ماتملكه من ثروة[٦٢] ، فمن المعروف أن كوش قد انتهزت فرصة تراخي قبضة الحكام المصريين في أيام الإنتقال الثاني لزيادة حجم التجارة التي تعود عليها بالنفع بين وادي النيل الأعلى والأدنى[٦٣] ، وهكذا وجدت آثار لاتحصى من طين الأختام المستخدم في ختم الرسائل ، وعدد من مختلف الأدوات الأخرى المستوردة من الشمال ، قد عثر عليها في منطقة كرما[٦٤] .

وهناك مايشير إلى أن الصلات بين كوش والهكسوس كانت على اوثقها كما في رسالة ملك الهكسوس (أبو فيس) [٦٥] إلى أمير كوش وقد وجد على طول الممر النوبي جعارين [٦٦] إذ أن الجعارين صارت

(60) Asfour , M.A.A ., The Relation between Egypt and Nubia in Pharaonic Times , Ph. D. Unpublished , 1965 , P. 65.

(61)Joyce L . , op...cit, PP.33 -34.

(62) Joyce L . op...cit , PP. 10 -13 .

(63) Adams , A , Nubia Corridor to Africa , London , 1977 ,P. 93.

(٦٤) مهران ، المدن الكبرى ... ، ج٢، ص ص٣٥٣ – ص٣٥٣.

(٦٥) مهران ، حركات التحرير ... ، ص١٩٢ – ص١٩٣ .

تستخدم كأختام منذ بداية الدولة الوسطى بعد أن كانت في الاصل تقوم بوظيفتها كتمائم ، هذا بجانب الوظيفة الأقتصادية لتلك الأختام لما لها من فاعلية في كافة المعاملات التجارية[٦٧]كما وجدت اختام تحمل اسماء الملوك الآسيويين الذين كانوا يحكمون مصر وقت ذاك[٦٨] ، مثل " شيشي " (=؟" أسيس "Assis) و " ماعت أب رع " و " يعقوب –أيل "[٦٩]على طوابع الأختام وهي في كرما [٧٠] المستودع التجاري وهي بلاشك كانت مستعملة لختم الوثائق الرسمية[٧١] نفسها من الكثرة حتى ظن البعض لفترة ما ، أن النوبة قد اجتاحها الهكسوس[٧٢]، بعد أن اخضعوا مصر العليا ، مما قد يُفسر على أن حُكام الهكسوس كان لهم في العصر الأول من حكمهم سلطان في الجنوب وأن مستودع " كرما " كان تحت سلطانهم ، وبالطبع فلا بد أن بلاد النوبة كانت في قبضتهم ، كما تدل الأختام الموجودة في مستودع " كرما " على

---

(٦٦) الجعران : هي حشرة سوداء تعيش في رمال الصحراء ، تدفن نفسها ، وتظهر مع أول شعاع للشمس ، ورمز المصريون الأوائل الى الإله الأول " الذي لم يكن " ثم اصبح بهذه الحشرة ، التي عبرت في اللغة المصرية عن معنى " خلق " ، كما جعلوا صورتها رمزاً للإله الخالق الذي ارتبط منذ اقدم العصور باله هليوبوليس " أتوم " ، ثم بالإله رع الذي عبد في نفس المدينة فيما بعد وارتبط الجعران في رمزيته السابقة ارتباطاً وثيقاً بعقيدة انتشرت بين المصريين ، وهيمنت على حياتهم الدينية ، فأتخذوا منه تميمة تحمي صاحبها من الشرور وحلية يتزين بها الناس ، كما وضعوه منذ الدولة الوسطى في صدور الموتى للتبرك به وصنعوه غالباً من حجر الأستياتيت ، أو من الفيانس" القاشاني " أو من الأحجار الصلبة ، مثل الأوبسيديان والجرانيت والبازلت ، وكذلك من العقيق واللأزورد وغيرها من الأحجار نصف الكريمة ، وبدأ المصريون باستعمال الجعران كختم منذ اواخر الدولة القديمة ، ونقشوا على باطنه بعض العلامات محفورة ليختموا قطعة من الطين يثبتونها في طرفي خيط سميك يربطون به غطاء آنية أو صندوق أو ملف بردي فتبرز العلامات فوق سطح الطين للتأكد من سلامته وعدم التلاعب به ، ومنذ الدولة الوسطى انتشر استعمال الجعران كتميمة ، في حين اخذ بعض ملوك الدولة الحديثة في استعماله لتسجيل بعض المناسبات الرسمية ، مثل الزواج الملكي أو الخروج في مواكب الصيد وغير ذلك كما فعل امنحوتب الثالث وغيره . ينظر: أديب ، سمير ، = موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، ص٣٢٢ ، وايضاً استعمل الجعران لتسجيل نص من كتاب الموتى ويعرف هذا النوع من الجعران باسم " جعران القلب " ، إذ كان يوضع غالباً في مكان القلب في الجثة ، ويقول النص(الفصل رقم ٣٠ من كتاب الموتى) : " حتى لا يشهد القلب ضد صاحبه ، حتى لايجعل اسمه ملطخاً امام قضاة المحكمة ، وحتى لايكذب أمام الإله الأعظم رب الموتى " ، وارتبطت هذه العادة منذ أخذ المصري بعقيدة اوزيريس ، وعرف ان القلب هو الشاهد الذي يتولى الحديث عن صاحبه أمام محكمة الموتى ، وان هذا الحديث سوف يبعث به الى الجنة أو الهلاك ينظر: هرو ، برت إم ، كتاب الموتى الفرعوني(عن بردية آني بالمتحف البريطاني)، ترجمة : السير والس بدج ، وفيليب عطية ، (مصر – مكتبة مدبولي) ، ١٩٩٣م ، ص١٤، ص٦٧.

(67)Hayes , W.C., " The Civil Service'' , in C. A .H , Vo1. II, Part I Cambridge , 1973, P .45.

(٦٨) الجمل ، المصدر السابق، ص٧١ ، ص٨٣.

(٦٩) حسن ، المصدر السابق، ج١٠، ص٢١٢.

(٧٠) الجمل ، المصدر السابق، ص٧١.

(٧١) حسن ، المصدر السابق، ج١٠، ص٢١٢.

(٧٢) مهران ، المدن الكبرى ...، ج٢،ص ص٣٥٣ – ص٣٥٤.

أن التجارة بين مصر وبلاد النوبة كانت مستمرة في عهد الهكسوس[٧٣]غير اننا نعرف الآن انه كان لأفارقة النيل الأوسط صلات وثيقة جداً مع أسيوي الدلتا ، لدرجة أن ملوك الأسرة السابعة عشر الطيبية عندما بدأوا حرب التحرير ، واسترداد مصر الوسطى والسفلى ، اتجه ملك الهكسوس بصورة طبيعية بطلب العون من حليفه الأفريقي أمير كوش والقيام بعمل عسكري مشترك ضد عدوهما المشترك ملك مصر[٧٤] .

ج:- المعابد :-

وفي النهايات الأخيرة من حلقات الصراع مع الهكسوس فقد وجد لوح عثر عليه في بوهن (وتم نقله إلى متحف فيلادلفيا رقم ١٠٩٨٤) وصاحبه يحمل إسم " سيد حور " قد كان في خدمة حاكم كوش المستقل ويتباهى بأنه كان قائداً في بوهين وأنه قام ببناء معبد للإله حورس هناك " ليسر به حاكم كوش " والنص الذي يذكره " سبد – حر " بناء المعبد الذي يقول: " اني قائد شجاع في بوهن ولم يفعل أي قائد مافعلته ، فلقد شيدت معبدا لحورس سيد بوهن فسر لذلك الحاكم الكوشي " [٧٥] وبناء عليه فإن " حاكم كوش " المحلي كان يستعين بعدد من المصريين للخدمة في دولته التي امتد سلطانها على كل منطقة سهل كرمة ثم شمالاً حتى الفنتين عند حدود مصر الجنوبية[٧٦] ، ولم نعثر على المعبد الذي بناه في بوهن والمهم أن نعلم من النص أن القائد الكوشي كان مهتماً في بناء معبد لحورس الاله المصري فهذا يشير إلى أنه في هذا الوقت كانت العادات والحضارة المصرية قد استقرت وقبلت من حكام كوش المستقلة[٧٧] .

د:- الفخار :-

ويدل على أن هناك علاقات بين الهكسوس وبلاد النوبة في عصر الأنتقال الثاني من خلال الفخار " تل اليهودية " وهو أحسن طراز فخار خاص بعصر الهكسوس حيث وجدت كميات كبيرة منه ، وهو كمثري الشكل ذو رقبة طويلة ضيقة ، وقبضته تمتد من كتف الإناء إلى حافته وتمتاز بأنها مزدوجة وتنتهي قاعدته في الغالب بزر وظاهر الإناء مصقول لونه في العادة أسود أو برتقالي لامع ، وعندما يكون أسود اللون يكون مغطى بأشكال غائرة بيضاء اللون[٧٨] .

---

(٧٣) الجمل ، المصدر السابق ، ص٧١ ؛ ص٨٣.

(٧٤) مهران ، المدن الكبرى ... ، ج٢، ص ص٣٥٣ – ص٣٥٤.

(٧٥)امري ، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٧٦) بكر، محمد ابراهيم ، المدخل إلى تاريخ السودان القديم (مكتبة الأسكندرية – مصر) ، ص٣٥.

(٧٧) امري ، المصدر السابق ، ص١٧٦.

(٧٨) فكري ، موجز ... ، ج١ ، ص٢٣١ .

ولقد تم اكتشاف أواني من طراز " تل اليهودية " في " بوهن "قرب وادي حلفا في النوبة [٧٩] وأيضاً كان منتشراً في " كرما " وقد وجد العديد من الأواني والأباريق التي كانت تتطور تدريجيا في فلسطين ووجدت في المقابر من هذا النوع في مقابر بلاد النوبة إذ أن الهكسوس كانوا يميلون لهذا النوع من الفخار ومن المحتمل أن عدداً عظيماً منها قد استورد عندما كان حكام الهكسوس يسيطرون على التجارة أكثر مما كانت في أيدي الحكومة المصرية[٨٠] .

ويعتبر طراز فخار " تل اليهودية " ممثلاً لعصر الهكسوس القديم حيث تغير هذا الطراز إلى طراز يسمى الفخار الحوراني[٨١] وهذا الطراز يؤرخ بعصر الهكسوس المتأخر الذي يرجع إلى ماقبل الأسرة الثامنة عشر وحتى منتصف القرن الخامس عشر على أقل تقدير حيث كانت بقية من الهكسوس متواجدة في مصر وكان هذا الفخار ذا اللونين المصنوع بعجلة صانع الفخار ، كما أنه وجد في عصر الانتقال الثاني فخار في " كرما " هي الأواني الحمراء المصقولة باللون الأسود المصقول على عجلة الفخار سفن على شكل حيوان وغيرهم ومزينة بزخارف حيوانية وعلى الرغم من أن العديد من الأواني المكتشفة في كرمة مما لاشك فيه ، يعبر عن تقليد ثقافي أصلي ، وتأثير تقنيات المصرية من الحرفية والتصميم ولكن أنها أنتجت وفق الذوق المحلي من قبل الحرفيين المحليين الذين اكتسبوا التقنيات المصرية [٨٢] .

و:- الحصون :-

ولم يبق لمصر في ظل تلك الظروف قوة في النوبة العليا فلقد استولى الهكسوس على الحصون وفي بعض الأحيان هدمت هذه القلاع إذ كان البدو وأهالي "كوش " يهاجمون قلعة " بوهن " ويجتاحونها فإنها ، على مايبدو ، كانت قد أصبحت مهجورة من الحامية المصرية المتمركزة بها[٨٣] فمثلاً تركت بوهن ، مقر

(٧٩) فكري ، المصدر السابق ،ج١، ص٢٣١ .

(٨٠) حسن ، المصدر السابق، ج١٠، ص٢٠٦ ؛ ص٢٠٤؛ص٢٠٩.

(81) Breasted .J.H , Ancient Nubia Press Kit , The Museum of the Oriental Institute at the University of Chicago , February , 2006 , P. 87 ; Edwards .N , The Archaeologe of Sudan and Nubia , University of Minnesota , 1991 , P.68.

(82) Editor, G.Mokhtar,General History Of Africa .II Ancient Civilizations of Africa, Heinemann. Calfornia.Unesco,1981,P.254. ؛ P.263.

(٨٣) نوبلكور ، كريستيان ديروش ، أسرار معابد النوبة ، ترجمة : فاطمة عبد الله محمود ، (مصر – المجلس الاعلى للآثار) ، ٢٠١٠ ، ص٥٨.

قائد جيش الجندل ، اطلالا يتصاعد منها الدخان وبقيت على هذه الحال من الدمار أكثر من مائة سنة على أن الكوشيين المنتصرين كانوا قد سكنوها(٨٤) والدليل على ذلك هو نص " سبد – حر " الذي يقول :"اني قائد شجاع في بوهن ولم يفعل أي قائد مافعلته ، فلقد شيدت معبدا لحورس سيد بوهن فسر لذلك الحاكم الكوشي " " سبد – حر " (٨٥)هذا كان مصرياً عمل موظفاً مع بعض المصريين الآخرين عند الحكام الكوشيين الذين أمتدت سلطتهم إلى منطقة واسعة من النوبة ا(٨٦)كما أن قيام التبادلات التجارية السابقة ووجود المصريين بالقلاع الحصينة المنيعة ، تم نمط من الأمتزاج والأختلاط فيما بين المصريين والنوبيين ، بعيداً عن العاصمة الكبرى ، ومع ذلك فلم تعد السطوة والسيطرة الفرعونية عندئذ سوى ذكرى بعيدة (٨٧) .

وأن الحصون المصرية التي تم تشيدها من قبل فراعنة الدولة الوسطى قد خربت في أعقاب انهيار المملكة الوسطى وغزو الهكسوس " القبائل الآسيوية "، إذ فقد المصريون سيطرتهم على النوبة وتم نهب الحصون وإحراقها من قبل السكان الأصليين ، الذين انتهزوا فرصة انهيار الحكومة المركزية في مصر لاستعادة استقلالهم إذ في عصر الدولة الوسطى كان لبناء المصريين سلسلة من الحصون في المعقل الجنوبي ، بين أسوان وكرما ، لحماية المصالح المصرية في بلاد النوبة العليا إذ كانت "كرما " مقر الحاكم المصري ، وعندما غزت الهكسوس مصر تم تدمير البؤرة الاستيطانية المحصنة في "كرما " من قبل النوبيين لكن استمرت دوفوفا الغربية موقعا تجارياً محصناً في عهد الهكسوس أو الفترة الانتقالية الثانية واستمرت العلاقات التجارية والدبلوماسية ، بين مصر في حكم الهكسوس وبين أمراء المحليين " لكرما " وازدهرت مملكة "كرما "خلال الفترة الأنتقالية الثانية إذ أنه تم تبادل التجار المصريين السلع والتماثيل بين مصر في عصر الهكسوس وبين الأمراء النوبيين(٨٨) .

(٨٤) إمري ، المصدر السابق ،ج١، ص١٧٦.

(٨٥) بكر، المصدر السابق ،ج١، ص٣٥.

(٨٦) إمري ، المصدر السابق ،ج١، ص١٧٦.

(٨٧) نوبلكور ، المصدر السابق ،ج١، ص٥٨.

(88) Editor, G.Mokhtar, op…cit,PP. 258 -261.

كما أنه في أواخر " عصر الانتقال الثاني "، أصبحت السلطة السياسية والاقتصادية الوحيدة المعترف بها عبر وادي النيل(٨٩) كما في الشكل رقم (٥) (٩٠) في قبضة ملك " كوش " (٩١)، المقيم في الحصن الخاص به في " كرما " وأنه مجرد قلعة فائقة الارتفاع مشيدة من قوالب الطوب وهكذا ، فعندما استقر الغزاة الهكسوس استقرارا قويا بشمال مصر، كان من الطبيعي أن تلتفت أنظارهم نحو ملك " كوش " محاولة من جانبهم تطويق مهد المقاومة المصرية ، التي كانت قد تكون في مصر العليا ، بأواخر الأسرة السابعة عشرة(٩٢) .

رابعاً:-العلاقات الأجتماعية بين مصر وبلاد النوبة في عصر الهكسوس:-

أن سيادة الهكسوس في مصر قد أدت إلى هجرة عدد كبير من المصريين إلى بلاد النوبة وأن هذا بدوره قد أدى إلى حركة تمصير للثقافة الوطنية في بلاد النوبة كما تظهر بوضوح من التغيرات التي طرأت على المجموعة (C) النوبية(٩٣) .

ويعتقد أمري أن تبني أهل المجموعة الثالثة لطقوس الدفن المصرية التي ترجع إلى عصر الهكسوس التي عثر عليها في هذا المكان ، ويلاحظ هذا بطريقة غريبة إلى درجة أنه يمكن أن يدل على وجود عدد كبير من المهاجرين المصريين الذين هربوا من ضغط الهكسوس ، ففي أثناء الفترة الأولى من عصر الانتقال الثاني بقيت المقابر ذات الجزء المستدير الذي يعلو سطح الأرض وكان الجسد لايزال يوضع على شكل نصف القرفصاء ولكن في أواخر الأسرة الثالثة عشرة تغير شكل مقابر المجموعة الثالثة كليا ، فلم نعد نعثر على اللوحة الغربية ولكننا نجد بدلاً منها حفراً مبعثرة في الجبانة كلها خصصت لوضع القرابين ولاتنتمي إلى

(89) Bill Manley C.F , Atlas of Ancient Egypt , (The Penguin Historical Atlas) Edinbourg , 1996, P.38.

(٩٠) الزاكي ، المصدر السابق ، ص٦.

(91) Bill Manley C.F , op…cit, P.38.

(٩٢) نوبلكور ، المصدر السابق، ص٥٨.

(93) Reisner . A , Archaeologigal Survey of Nubia Report for 1907 -1908 Volume I , Harvard University .

مقبرة بعينها وكانت هذه الحفر تحتوي عادة الأجزاء الأمامية من جماجم غزلان ملونة بالأسود والأحمر هذا إلى جانب تقدمة على شكل أوان فخارية(٩٤) .

وكانت الحفر في حالات عديدة تغطي بجزء مقبى من الطين ، أما عن الدفن فقد كان الجسد يرقد على جانبه الأيمن في حالة القرفصاء ورأسه إلى الغرب وكانت الحفرة التي يوضع فيها الجسد عبارة عن حفرة مستطيلة حوافيها مستديرة ولم تستعمل الحجارة لتغطية الحفرة بل كانت الحفرة تملاء بالرمل بعد مراسيم الدفن ثم يبنى فوق الحفرة جزء مستطيل مقبى من الطوب اللبن وتوضع لوحة حجرية للقرابين عند النهاية وفي بعض الأحيان كانت تصنع حفرة في جدار الجزء العلوي لتتصل المقبرة بالقرابين الموضوعة فوق اللوحة وهناك أدلة على أن الجزء العلوي كان كثيراً مايشيد بعد الدفن بفترة وذلك لأنها في حالات عدة بنيت بعيدا عن المقبرة التي أسفلها(٩٥) .

وكانت الأواني توضع أيضاً داخل المقبرة عند رأس أو أقدام الميت ، إلى جانب الفخار الذي كان يوضع فوق اللوحة عند قمة الجزء العلوي للمقبرة وتظهر محتويات المقبرة مدى التأثير المصري إذ نجد جعارين من الستياتيت والعقيق والجشمد وتمائم من القشاني مربوطة حول الأصابع أو العنق وكانت أواني الكحل المصرية المصنوعة من الرخام لها شعبيتها بالاضافة إلى المرايا المصنوعة من البرونز وبعض السكاكين ومع أن الأسلحة كانت نادرة الا أن الخناجر المصرية قد وجدت أحياناً ، وإذا استثنينا الفخار فاننا سنجد أن معظم محتويات المقبرة مثل الحلى وأدوات الزينة والآلآت والأسلحة كلها ترجع إلى أصل مصري(٩٦) .

كما أن التغيير الذي طرأ على ثقافة بلاد النوبة في هذه الفترة كما يظهر في " المجموعة الثقافية C" بأنه عندما أصبحت بلاد النوبة غير تابعة سياسياً لمصر ، وكان فضلاً عن ذلك عدد كبير من النوبيين قد تشعبوا بالثقافة المصرية ، وكان عدد منهم يعملون بوصفهم جنوداً مرتزقة أصبح النوبيون أكثر ميلاً للذوق المصري وأكثر استعداداً لقبول الثقافة المصرية فجلبت الأواني الفخارية المصرية وقلدت في بلاد النوبة(٩٧) وكذلك الملابس المصرية بل لعل الحكام الصغار في بلاد النوبة أنفسهم كانوا مقلدين للحكام المصريين(٩٨) .

(94) Budge , E.A.W, The Egyptian Sudan , 2Vo1s , (London , 1902), P.184.

(95) Ibid, PP.184-185.

(96) Beshir, op …cit , P.102.

(97) Editor, G.Mokhtar, op…cit 1981,P.263.

(98) Roy , Jane , The Politics of Trade Egypt and Lower Nubia in the 4th Millennium BC, Leiden . Boston , 2011,P.192.

كما أن قيام التبادلات التجارية السابقة ووجود المصريين بالقلاع الحصينة المنيعة ، تم نمط من الأمتزاج والأختلاط فيما بين المصريين والنوبيين ، بعيداً عن العاصمة الكبرى ، ومع ذلك فلم تعد السطوة والسيطرة الفرعونية عندئذ سوى ذكرى بعيدة (٩٩) .

وقد وجدت لوحة في " بوهن " تتحدث عن تاريخ حياة مصري كان في خدمة حاكم مستقل لبلاد كوش والتفسير الذي يورده سليم حسن لهذه الظاهرة هو أن بلاد النوبة حينما أصبحت حرة وصارت المدنية المصرية منتشرة هناك إذ كان من الطبيعي أن يرحب بالمصريين الذين يريدون أن يخدموا الحكام هناك ، وإذ كانت بلاد النوبة السفلى في هذه الفترة قد أصبحت محكومة بحاكم واحد ميوله مع المصريين والمدنية المصرية فإن التغيير يصبح في هذه الحالة أكثر سهولة وسرعة(١٠٠) .

وقد عثر على لوحة عرفت باسم " لوحة ادفو" لرجل مصري يقول فيها " لقد كنت محاربا شجاعا واحد الداخلين " أدفو " وقد نقلت زوجتي وأطفالي ومتاعي من جنوب كوش في ثلاثة عشر يوماً ، وقد عدت بذهب قدره ست وعشرون دبناً والخادمة " وشع شنى " واشتريت ذراعين من الأرض ، وهكذا كوفئت على السنين الست التي خدمتها في بلاد النوبة التي جاء منها الذي اشتريت به الأرض(١٠١) .

(٩٩) نوبلكور ، المصدر السابق، ص٥٨.

(١٠٠) حسن ، سليم ، المصدر السابق، ج١٠، ص٢٢٥.

(101) Budge , E.A.W, op...cit, PP.184-

الاستنتاجات

ويتضح مما تقدم أن النص يدل على أنه وجد من المصريين في ذلك الوقت من كانوا في خدمة الحكام بالنوبة .

١- كان غزو الهكسوس لمصر قد أثر على بلاد النوبة إذ أدى الى تمرد النوبة السفلى من أداء الجزية لفراعنة مصر وعدم تبعيتها لها .

٢- ساهم غزو الهكسوس لمصر في تشجيع استقلال حاكم كوش في النوبة العليا في كرما وديفوفا الغربية واتخاذها كمقر لحاكم كوش وبالتالي توسع كوش نحو المناطق الشمالية إلى أن وصلت إلى الحدود الجنوبية من مصر جنوب الفنتين .

٣- وجود علاقات دبلوماسية وعسكرية وتحالف بين الهكسوس وحاكم كوش لاقتسام مصر ضد فراعنة مصر الذين كانوا يسيطرون على مصر العليا " طيبة " وذلك من خلال المراسلات التي كانت بين الطرفين التي يذكرها كاموسي في لوح "كارنرفون "

٤- استمرار العلاقات التجارية بين مصر وبلاد النوبة في عصر الهكسوس في مستودع "كرما " إذ أن الهكسوس قد ورثوا السياسة السلمية في علاقاتهم التجارية مع بلاد النوبة ويستدل على ذلك من خلال وجود الأختام التي تحمل اسم ملوك الهكسوس ليتم بها ختم الوثائق الرسمية والتجارية بين الطرفين فضلا عن استيراد النوبة في عصر الهكسوس للفخار الذي كان يجلبه الهكسوس من سوريا وفلسطين وقد وجد كثير منه في المقابر في "كرما " و " بوهن " من أواني وابارق عرف بالفخار الحوراني أو فخار " تل اليهودية " .

٥- أما من الناحية الحضارية فكان وجود الهكسوس في بلاد النوبة من الناحية الحضارية من خلال وجود الأختام التابعة لملوك الهكسوس والتي حملت اسمائهم على طول الممر النوبي وأيضا استخدام الفخار الذي كان يستورده الهكسوس من سوريا وفلسطين لبلاد النوبة وعرف بالفخار الحوراني أو فخار تل اليهودية أما الحصون فقد استوطنت من قبل المصريين الذين هاجروا إلى بلاد النوبة بعد غزو الهكسوس لمصر وادى الى

اختلاطهم بالنوبيين وعاداتهم وتقاليدهم وأيضا بناء المعابد من قبل الموظفيين المصريين لحاكم كوش وكان ذلك في عصر الهكسوس.

٦- أما من الناحية الأجتماعية في عصر الهكسوس فقد أدى مجيئهم إلى مصر في هجرة العديد من المصريين إلى بلاد النوبة واختلاطهم بأهل النوبة بعدما استقروا في الحصون التي شيدها ملوك الدولة الوسطى في بلاد النوبة، كما أن أهل النوبة قد تأثروا بهؤلاء المصريين فأنعكس على حياتهم اليومية من ناحية الملبس أو الطقوس الجنائزية ، وكذلك عمل الكثير من الموظفيين المصريين في خدمة حاكم كوش ، فضلاً عن استخدام المرتزقة من الجنود النوبيين في حروب التحرير ضد الهكسوس من قبل فراعنة الأسرة السابعة عشر الطيبية وتأثر هؤلاء الجنود بالصبغة المصرية .

المراجع العربية:

١- أديب، سمير ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، (القاهرة – مكتبة العربي) ، ٢٠٠٠م .

٢- الجمل ، شوقي ، تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقاته بمصر من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، (مصر – مكتبة الانجلو المصرية) ،٢٠٠٨م .

٣- إمري ، وولتر ، مصر وبلاد النوبة ، ترجمة : تحفة حندوسة ، (القاهرة – المركز القومي للترجمة) ، ٢٠٠٨م .

٤- برستد ، جيمس هنري ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، ترجمة: حسن كمال ، (مصر – مكتبة مدبولي) ، ١٩٩٦.

٥- بكر ، محمد ابراهيم ، المدخل الى تاريخ السودان القديم ، (الخرطوم) ، بدون تاريخ.

٦- بيكي ، جيمس ، الآثار المصرية في وادي النيل من فيلة إلى الخرطوم ، ترجمة : نورالدين الزراري، (مصر – مركز الآثار) ، ١٩٩٤م ، ج٥.

٧- حسن ، سليم ، موسوعة مصر القديمة عهد الهكسوس وتأسيس الإمبراطورية ،(مصر – مكتبة الأسرة) ، ٢٠٠١ م ،ج٤ .

٨- حسن ، سليم ، موسوعة مصر القديمة تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد " بيعنخي " ، (مصر – مؤسسة الهنداوي) ، ٢٠٠٦ م ، ج١٠،

٩- حواس ، زاهي ، أبو سمبل معابد الشمس المشرقة ، تقديم : فاروق حسني ، (مصر – دار الشروق) ،٢٠٠١م .

١٠- عبد المجيد حسن ، النوبة الإنسان والتاريخ ، تقديم : فريدة النقاش ، (مصر – مكتبة مدبولي) .

١١- سبنسر ، نيل وآخرون ، مدينة عمارة غرب المعيشة في النوبة الفرعونية ، (السودان – مطبعة السودان) ، بدون تاريخ .

١٢- صابات ، خليل ، تاريخ الطباعة في الشرق العربي ، (القاهرة – دار المعارف) ، ١٩٥٨م .

١٣- صالح، عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق ، (مكتبة الأنجلو المصرية) ، ٢٠١٢,

١٤- فكري ، وائل ، موجز موسوعة مصر القديمة ، (مصر – مكتبة مدبولي) ، ٢٠٠٩م .

١٥- مهران ، محمد بيومي ، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ، (مصر – دار المعرفة) ، ١٩٩٩ م ، ج٢، ١٩٦٦ م .

١٦- مهران ، محمد بيومي ، حركات التحرير في مصر القديمة ، (القاهرة) ، ١٩٧٦م .

١٧- مهران ، محمد بيومي ، الحضارة المصرية القديمة (الحياة الأجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية) ، ط٤ ، (مصر – دار المعرفة) ، ١٩٨٩ ، ج٢ .

١٨- نوبلكور ، كريستيان ديروش ، اسرار معابد النوبة ، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود ، (مصر – مطابع المجلس الأعلى للآثار) ، ٢٠١٠م .

١٩- هرو ، برت إم ، كتاب الموتى الفرعوني(عن بردية آني بالمتحف البريطاني)، ترجمة : السير والس بدج ، وفيليب عطية ، (مصر – مكتبة مدبولي) ، ١٩٩٣م .

المراجع الأجنبية:-

1- A group of Researchers ,Ancient Egypt and Kush ,From the Egyptian Museum.

2- Adams , A , Nubia Corridor to Africa , London , 1977.

3- Allen , James .P, Middle Egyptian, London.

4- Asfour , M.A.A , The Relation between Egypt and Nubia in Pharaonic Times, Ph . D . Unpublished , 1965, 1965.

5 – Belzoni .G , Egypt And Nubia , London.

6- Beshir , M.O , The Southern Sudan , (London , 1968) .

7- Bill Manley C.F , Atlas of Ancient Egypt , (The Penguin Historical Atlas) Edinbourg , 1996.

8- Breasted.J.H, Ancient Nubia , Press Kit , The Museum Of the Oriental Institute at the University of Chicago , February , 2oo6.

9- Budge , E . A . W , The Egyptian Sudan, London , 2 Vo1s , London ,1902 .

10- Editor ,G.Mokhtar ,General History of Africa.II Ancient Civilizations of Africa , Heinemann.Calfornia.Unesco ,1981.

11- Edwards .N, The Archaeology of Sudan and Nubia , University of Minnesota , 1991.

12- Hayes , W.C., " The Civil Service'' , in C. A .H , Vo1. II, Part I Cambridge , 1973.

13- Joyce L . Haynes , Nubia Ancient King Doms Of Africa, Museum Of Fine Arts , Boston Washington , 1992 .

14 - Archaeologigal Survey of Nubia Report for 1907 -1908 Volume I , Harvard University .

15-Reisner,G.A, Excavatiopns at Kerma,Parts I-111,Cambridge ,1926.

16- Roy , Jane , The Politics of Trade Egypt and Lower Nubia in the 4th Millennium BC, Leiden . Boston , 2011.

17- Willkinson , J.G , The Ancient Egyptians , London , 1890 .